الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط

التاريخ : ٦ اكتوبر ٢٠٠١

أحد أبرز قادة «الأفغان العرب» لـ الشرق الأوسط: مقاتلو بن لادن لا يزيدون على الألفين والحرب قد تستغرق سنوات

عبد الله أنس زوج ابنة عزام مؤسس مكتب «الخدمات» النواة الاولى لـ«القاعدة»: المصريون من جماعة «الجهاد» أحدثوا شرخا وانقساما بين التلميذ وأستاذه

لندن: محمد الشافعي

لا تخلو حكاية تنظيم «القاعدة» ومؤسسها اسامة بن لادن مع واشنطن، التي رصدت 25 مليون دولار لمن يدلي عن مكان وجوده، من الحكايات والقصص المثيرة اللافتة للانتباه، في اعقاب ما كشفت عنه بريطانيا من ادلة اتهام لزعيم «القاعدة» الذي تعتبره الولايات المتحدة المشتبه الرئيسي في تفجيرات 11 سبتمبر (ايلول) الماضي.

ورغم ما تعتقده الادارة الاميركية من وجود شبكة عالمية من الاصوليين المتطرفين بقيادة بن لادن الذي يحظى بحماية توفرها له جماعة طالبان في نحو 50 بلدا حول العالم، الا ان عبد الله انس احد أبرز قادة «الأفغان العرب» الذي رافق رحلة تاسيس مكتب «الخدمات» النواة الاولى لـ«القاعدة» في بيشاور قبل بزوغ نجم بن لادن والذي تدرب على يديه محمد عاطف (ابو حفص المصري) المسؤول العسكري الحالي لـ«القاعدة»، وسلفه علي امين الرشيدي المعروف بأبي عبيدة البنشيري، الذي غرق في بحيرة فيكتوريا بافريقيا في فبراير (شباط) 1996، يقلل من امكانيات المنظمة السرية، وقدرتها المستقبلية على مواجهة الضربة العسكرية الاميركية ضد افغانستان.

ويقول القيادي الاصولي الجزائري عبد الله انس الحاصل على اللجوء السياسي في بريطانيا، والذي يعتبر احد ثلاثة من اوائل المجاهدين العرب الذين دخلوا افغانستان خلال الفترة من 1984 الى 1992، ان مقاتلي بن لادن، لا يزيد عددهم عن الالفين من الرجال المدربين على الكر والفر بين الكهوف والجبال والوديان، لكن الحرب قد تستغرق سنوات طويلة، للقضاء على تنظيم «القاعدة» او أسر زعيمها بن لادن.

ويضيف انس الذي يعتبر احد ابرز قادة «الافغان العرب» ان «التهويل من حجم منظمة «القاعدة» وجد هوى عند المقاتلين العرب داخل افغانستان، وكذلك في الوقت ذاته وجد صدى وقبولاً من الماكينة الاعلامية الاميركية، حتى تكون الضربة العسكرية المقبلة مبررة بجميع الاشكال».

ويتذكر الاصولي الجزائري الذي عمل امام مسجد بالجزائر قبل الالتحاق بمعسكرات التدريب في بيشاور، في لقاء خاص مع «الشرق الاوسط»، السنوات السبع التي قضاها بجوار القائد الأفغاني احمد شاه مسعود، «اسد بانشير»، كابرز مساعديه الميدانيين، الذي قتل الشهر الماضي في عملية تفجير نفذتها عناصر عربية في افغانستان، ويقول «لقد خسرت ساحة الجهاد الأفغاني مخططاً عسكرياً من الطراز الاول، كان يتسم بالبساطة وقدرته على خلق نوع من الانسجام مع جنوده العرب والافغان في آن واحد».

ويضيف: ان اطناناً من القنابل والصواريخ الروسية على الملاجئ والمغارات في جبال كابل وقندهار وخوست، لم تكن تؤثر على معنويات المجاهدين المختبئين بداخلها، حتى من الله على مسعود ورجاله بفتح كابل عام 1992.

ويمضي أنس، زوج ابنة الشيخ عبد الله عزام مؤسس مكتب «الخدمات» النواة الاولى لتنظيم «القاعدة» قائلاً: «لقد كنت اتوقع ان اموت في سنوات الجهاد الافغاني، والتي تثقلت خلالها بين معظم الولايات الافغانية مصاحبا للقائد مسعود، وانال مكانة حسنة بين الشهداء، وكان ذلك جزءاً من خطتي منذ ان خرجت من غرب الجزائر، وانا في الرابعة والعشرين من العمر، لكن الله كتب لي حياة جديدة».

ويتذكر اللقاء الاول مع مسعود في منطقة مزار شريف بعد اسبوعين من السير على الاقدام بين الجبال، ويقول: في اللقاء الاول طلب مني ان اقرأ علية شيئا من القرآن الكريم، فتلوت آيات اواخر سورة آل عمران، وكان مولوي غلام قاري احد الائمة الافغان حاضرا، وهو في الوقت ذاته معلم مسعود، وبعد عدة ايام استاذنت منه في العودة بعد ان طلبت منه التدخل لانهاء ازمة متوقعة بين القادة الافغان، لكنه اصر على ان ابقى الى جواره، وطالت الاقامة وشاركت معه بالاضافة الى كثير من الافغان العرب في حروب دامية ضد الروس، استشهد فيها كثير من الاخوان، منهم ابو دجانة، واصيب في احداها ابو عبيدة البنشيري المسؤول العسكري السابق لـ«القاعدة» اصابة بالغة.

ويشير الى ان البنشيري (الذي توفي غرقا في بحيرة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

فيكتوريا عام 1996)، والذي كان المسؤول العسكري السابق لـ«القاعدة»، كان على عكس خليفته محمد عاطف «ابو حفص المصري» صهر بن لادن، فالاول كان رياضياً، بطلاً مغواراً في المعارك التي شارك فيها حتى أنه لقب بـ«البنشيري» نسبة إلى وادي بنشير في افغانستان ومعارك وادي النهرين التي اصيب فيها، بينما الثاني رجع من اول رحلة الى داخل افغانستان في نهاية عام 1985، لانها كانت في فصل الشتاء، وكانت تستلزم عبور الجبال العالية، لتفادي الكمائن التي نصبها الروس على الطرق».

ويقول ان ابو عبيد البنشيري كان متخصصا في استخدام المدافع المضادة للطائرات، بينما ابو دجانة كان يقود عمليات الاقتحام، في معركة مديرية النهرين التي قتل فيها، وفي هذه المعركة التي قادها مسعود قتل 16 افغانياً و 4 من العرب.

وعن رحلته الاولى داخل افغانستان بعد تلقى التدريب العسكري في معسكر بدر في بيشاور، يقول الاصولي الجزائري: «كانت القافلة تتكون من 200 مجاهد، وكان بها ثلاثة من الافغان العرب فقط، وهم من النواة الاولى للوجود العربي داخل افغانستان، (يضم ابو اسيد السوري، وضياء الرحمن «كويتي»، بالاضافة اليه)، وكانت تستلزم السير على الاقدام لمدة 40 يوما بين الثلوج للوصل الى مناطق الشمال المحاصرة».

ويضيف «كانت الحياة بالنسبة للمجاهدين صعبة للغاية، وكنا نختبئ في الكهوف والجبال، وكان المجاهدون لقلة الامكانيات يتناوبون على ارتداء الاحذية، قبل الذهاب الى قمم الجبال لاصطياد الروس، وكانت مؤنة الغذاء عبارة عن حبة بطاطس مسلوقة في اليوم».

تضحيات الأفغان العرب قطرة في بحر

ويوضح أنس «رغم التضحيات التي قدمها الافغان العرب، بأنها تعتبر بمثابة قطرة في بحر من التضحيات التي قدمها الافغان انفسهم للذود عن بلادهم». ويقول «خلال عام تعلمت مبادئ اللغة الفارسية، ورايت مآسي الشعب الافغاني، بعد ان تجولت ضمن قوات مسعود في وادي بانشير، واماكن اخرى، عدت بعدها الى بيشاور، وقدمت تقريرا مفصلا عما يحتاجه الشعب الافغاني. واكدت ان الجيل الجديد من الافغان العرب الذاهب الى افغانستان لا بد ان يتوفر على ثلاث خصال، وهي دعوية، واصلاحية، واغاثية، مع التميز بالانفتاح وعدم التعصب المذهبي، لانه سيتعامل بصورة يومية مع شعب متعصب للمذهب الحنفي».

وتزامن تاسيس «بيت الانصار» مع تاسيس «مكتب الخدمات» في بيشاور من قبل عبد الله عزام في بداية الثمانينات. وقد أدى تاسيس المكتب إلى نوع من التكامل مع «بيت الأنصار» حيث يؤدي المكتب المهمة الإعلامية وجمع التبرعات وحث المسلمين وخاصة العرب على الجهاد بالنفس والمال، و«بيت الانصار» المهمة العملية في استقبال وتوجيه الراغبين في الجهاد أو الاطلاع على أوضاع الأفغان. وخلال تلك الفترة توثقت علاقة الشيخ عبد الله بابن لادن.

ويتذكر انس اللقاء الاول مع بن لادن على غداء في منزل حماه الشيخ عبد الله عزام باسلام اباد عام 1994، وكان حاضرا ايضا ابو محمد المقدسي، وابو معاذ زوج ابنة عزام الكبرى، ومجموعة من الشبان العرب الراغبين في الالتحاق بصفوف الجهاد. ويقول أنس «كان بن لادن وقتها في الثامنة والعشرين من العمر، وكان قليل الكلام كثير الحياء، ولم يكن يشارك في الجهاد، الا من خلال انه كان يستخدم طائرته الخاصة لنقل بعض الشبان العرب من جدة الى اسلام اباد، وكذلك توفير الدعم المالي للقادمين الى بيشاور الحدودية، للالتحاق بمعسكرات التدريب».

ويضيف «كانت هناك قواسم مشتركة جمعت بين بن لادن والظواهري ومحمد عاطف وابو عبيد البنشيري، وهي قصر اللسان والبعد عن افكار التكفير التي كانت سائدة في ذلك الوقت، بين الافغان العرب في معسكرات التدريب، او بين المشتغلين بالطب والهندسة والتعليم والاغاثة من الذين لم تغبر اقدامهم بالتراب الافغاني، مثل العديد من الاصوليين في لندن الذين يتصدرون ساحة الحركة الاسلامية، ولكنهم لم يتشرفوا بالجهاد في افغانستان».

المصريون استولوا على عقل بن لادن

ويذكر أنس ان المصريين من جماعة «الجهاد» «استولوا على قلب وعقل بن لادن». وبعد عام من ذهابه الى افغانستان، وجد نوعا من الوقيعة بين بن لادن وعبد الله عزام، وحدث ما يشبه الانفصال والقطيعة بين التلميذ واستاذه.

ويضيف «لم يكن عند بن لادن في البداية، قبل أن يتعرف على المصريين من قيادات جماعة «الجهاد» مثل البنشيري او ابو حفص المصري او ابو دجانة، جهازه الخاص أو بنية تحتية من معسكرات ومخازن وإمداد واتصال، ولم تكن له جبهة خاصة به، بل كان يرسل الشبان القادمين عبر مكتب «الخدمات» او عبد الله

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

● المسؤول العسكري لـ«القاعدة» فشل في اختراق الجبال في أول مهمة له
● التهويل من حجم «القاعدة» وجد هوى عند الماكينة الإعلامية الأميركية

عزام إلى أحد الأحزاب المقاتلة مثل حكمتيار وسياف أو رباني».

ويتذكر القيادي الاصولي الجزائري الفتوى التي دفعته لمراجعة نفسه قبل ان يلتحق بصفوف معسكرات التدريب، وهي فتوى قرأها في مجلة «المجتمع» بغرب الجزائر في بداية عام 1994، وتعتبر الفتوى «ان الجهاد ضد القوات الروسية في افغانستان فرض عين، واجباً على كل مسلم».

ويضيف «ذهبت بعدها الى السعودية لاداء العمرة والتقيت عبد الله عزام في مكة المكرمة، امام بئر زمزم، وقلت له: لقد قرأت الفتوى، وانني جاهز للجهاد، فاعطاني رقم هاتفه في اسلام اباد، حيث كان يعمل استاذا في الجامعة الاسلامية، وبعدها بايام كنت اتصل به من مطار اسلام اباد، وظللت في ضيافته لمدة ثلاثة ايام، قبل ان ياخذني معه الى بيشاور ليعرفني على أمير الاتحاد الاسلامي لمجاهدي افغانستان عبد رب الرسول سياف».

ويتابع أنس «بالاضافة للعناصر المقاتلة، التحقت بمعسكرات التدريب في بيشاور. اعداد هائلة من الكفاءات المهنية المختلفة، مثل السائقين والمهندسين والمزارعين والاطباء، ومن كافة الخبرات الفنية في جميع المجالات». واستوعب هذا «الكيان» كما يفضل تسميته من شاركوا في التجربة الافغانية، والتزمت قيادته العليا في مكتب «الخدمات (قبل ان يتحول الى «القاعدة»)، بتكاليف اعاشة الجميع».

ويذكر ان معسكرات «التدريب» اقيمت في عدة مناطق من افغانستان واهمها معسكر «الفاروق» و«البدر» في منطقة «جاور» ومعسكر «جلال اباد» و«جهاد والي» واخيرا معسكر «الصديق» في منطقة «خوست»، وهي تقريبا نفس المناطق التي تم قصفها بالصواريخ الاميركية في اعقاب تفجير سفارتي الولايات المتحدة في نيروبي ودار السلام في اغسطس (آب) 1998.

وفي هذا المجال يشير الاصولي الجزائري الذي عاصر مرحلة انسحاب السوفيات وحتى «فتح كابل في 1994» الى ان المجاهدين العرب، كما كانوا يسمون في تلك الآونة، لم يخوضوا عمليات قتالية حقيقية ضد الروس وانما كانوا يوفرون للافغان احتياطيا مهما في بعض العمليات، بالاضافة للتاثير المعنوي لوجودهم على الارض الافغانية، والذي وفر لقضيتهم بعدا اقليميا مهما في مواجهة السوفيات.

مأزق «الأفغان العرب» في أفغانستان

ويقول أنس: هناك كثير من الماخذ على الوجود العربي في بيشاور خلال اعوام 90 و91 و92، فمعظم الافغان العرب، كانوا يخرجون عن كونهم مرتزقة يبحثون عن قبض راتبهم بالدولار، من اصحاب المهن التي فضلت البقاء في بيشاور، دون الذهاب الى افغانستان، او من المتطوعين بالشعارات ضد الذين يخالفونهم في الرأي. وهناك كثير منهم «كفر» الشيخ عبد الله عزام حتى تاريخ وفاته بسيارة مفخخة مع ولديه، في 24 نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1989، لانه اصدر فتوى، قال فيها اذا خرج الروس من افغانستان، فلا يجوز الوقوف مع طرف ضد اخر، وهو المازق الذي يعيشه العرب اليوم، وفي مقدمتهم بن لادن نفسه وقادة القاعدة في افغانستان الذين يعيشون تحت حماية طالبان».

ويقول أنس الذي كان شاهد عيان على سنوات الجهاد الافغاني وكان مقربا من تنظيمات الجهاد في افغانستان ابان احتلال السوفياتي، ان «القاعدة» هي كيان يضم عدة معسكرات ضخمة في افغانستان، بدأ تاسيسه في اواخر الثمانينات لاستقبال القادمين من جميع البلدان الاسلامية والراغبين في القتال ضد الروس. والمنخرطون في تلك المعسكرات كانوا في معظمهم من العناصر غير المنضوية تحت لواء التنظيمات الاسلامية المعروفة مثل «الجهاد الاسلامي» او «الجماعة الاسلامية» او غيرهما، وهي التنظيمات التي كانت تقيم معسكرات خاصة باعضائها في مناطق اخرى من البلاد.

وفي هذا الاطار يشير الاصولي الجزائري في حديثه الى ان كثيرا من العرب خضعوا لدورات تاهيلية، وشملت دورات راقية للتدريب على الاسلحة المتقدمة مثل الكلاشنيكوف ومدافع آر. بي. جي ومدافع الهاون وغيرها بالاضافة للدورات «الشرعية» والسياسية، وتستهدف هذه البرامج اعداد كادر «اسلامي» غير خاضع للتاثيرات الوطنية أو القومية. ويقول «لقد اكدت المفوج الاول من الافغان العرب، وكان به كثير من المصريين المنتمين لمنظمة الجهاد، ان يبعدوا عن التكتلات الفكرية والمذهبية، التي كانت تربطهم».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية